الفصل الأول

منهج الدعوة في الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

معنى الدعوة :

الدعوة في اللغة : جاء في لسان العرب في مادة "دعا" دعا الرجل دعوا ودعاة ناداه، والاسم الدعوة ودعوت فلانا صحت به واستدعيته ودعوة الحق شهادة أن لا إله غلا الله وتداعى القوم ودعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال ورجل داع إذا كان يدعو الناس إلى دين والنبي داعي الله وكذلك المؤذن[١].

وفي مختار الصحاح مادة "دعا" الدعوة إلى الطعام يقال كنا في دعوة فلان أو مدعاة فلان، والمراد بهما الدعاة إلى الطعام وهما مصدران والدعوة بالكسر والنصب وتداعت الحيطان أي تهدمت ودعاه صاح به[٢] وفي القاموس المحيط الدعاة الرغبة إلى الله يقال دعا دعاة وتداعوا عليه تجمعوا ودعاه ساقه والنبي دعى الله ويطلقه على المؤذن ودعوته سميته[٣] ﴿...أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ...﴾

[سورة الإسراء:١١٠]

والدعوة المرة الواحدة من الدعاء. وفي الحديث: فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، يريد أهل السنة دون البدعة، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، ودعاه إلى الأمير أي ساقه، وقوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٤٦]. "معناه داعيا إلى توحيد الله وما

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، دار المعارف، مادة "دعا"، ص ١٣٨٥ ــ ١٣٨٩.
(٢) مختار الصحاح، دار المعارف، مادة "دعا"، ص ٢٠٥.
(٣) القاموس المحيط مادة "دعا"، جـ٤، ص ٣٢٩.

يقرب منه. و الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة(١).

والدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده، والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقا أو باطلا، وفي ذلك حكاية القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ... ﴾ [سورة يوسف:٣٣] أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم، وكما ورد في قول الرسول للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم". ومن الحق قوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ... ﴾ [سورة الرعد:١٤]، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ ... ﴾ [سورة يونس:٢٥]، وفي كتابه ﷺ إلى هرقل (أدعوك بدعاية الإسلام)(٢) أي بدعوته وهي كلمة الشهادة وإتباع منهج الله ولذلك قال مؤمن فرعون ﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة غافر:٤١] فاستبان لنا أن هناك دعوة إلى الجنة وأخرى إلى النار.

والدعوة هي المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة. وهي الابتهال والسؤال(٣) فجاء في المصباح المنير، دعوت الله أدعوه، وأدعوه دعاء أي ابتهل إليه بالسؤال وأرغب فيما عنده من الخير(٤).

---

(١) لسان العرب، جـ٢، ص ١٣٨٧ ــ ١٣٨٩.
(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٣٧٧.
(٣) جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، ص ١٤.
(٤) المصباح المنير، الجزء الأول والثاني، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٣٩، مادة "دعا"، ص ٢٦٤-٢٦٦.

الدعوة في الإصلاح :

الدعوة هي حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة الآجل والعاجل وتتمثل في ثلاثة أنواع. الأول دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام، والثاني دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتأمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ويقوم به خاصة الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع، والثالث ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه[1] وقال تعريف هذه الكلمة هي: نقل الأمة من محيط إلى محيط. تلك هي مهمة الداعية. وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته[٢] وفريق ثالث من العلماء يقولون: أنها الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي من حيث حركة بناء الدولة ودفاع عن استمرار وجودها[٣]. أما الفريق الرابع من العلماء فيعرفونها بأنها: "برنامج كامل يضم في أطواله جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق الذي يجمعهم راشدين[٤]، وقيام من عنده أهلية الدعوة

(١) علي محفوظ هداية المرشدين، طرق الوعظ والخطابة، الطبعة التاسعة، دار الاعتصام ١٩٧٩، ص١٧.
(٢) البهي الخولي، تذكرة الدعاة، مكتبة وهبة، ص ٢٧.
(٣) رءوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها الملكي، ومناهجها وغاياتها، الطبعة الثانية، دار الفكر بالكويت ١٩٨٢، ص٣٦.
(٤) الشيخ محمد الغزالي، مع الله، الطبعة الخامسة، دار الكتب الإسلامية ١٩٨١، ص١٧.

إلى الله بترغيب الناس إلى فعل الخير وتحذيرهم من الوقوع في النشر وانقاذهم مما وقعوا فيه وبيان محاسن الإسلام لغير المسلمين ليدخلوا فيه[1].

وعلى هذا فإن الدعوة هي التزام بدين الله الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه والذين يستجيبون لهذه الدعوى هم حزب الله. ويقول ابن القيم: "الدعاة جمع داع كقاض وقضاة ورام ورماة وإضافتهم إلى الله للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به. الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة، وأعلاهم قدرا فالداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته"[2].

الدعوة في القرآن :

وردت مادة الدعوة في القرآن مائتين واثنتي عشرة مرة وتعددت صيغتها وعباراتها وأساليبها ودارت مادتها على ست وسبعين صيغة. وقد جاءت فعلا ماضيا ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ...﴾ [سورة آل عمران:٣٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾ [سورة فصلت: ٣٣]، وجاءت مضارعا ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ...﴾ [سورة يوسف:١٠٨]. وأمر ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وجاءت اسم فاعل ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ...﴾ [سورة الأحزاب:٤٦].

---

(١) الشنتيوي، الدعوى الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠، ص٣٦.
(٢) جمعة أمين عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٤، ١٥.

obeikandi.com

الدعوة في السنة النبوية:

وردت الدعوة في أحاديث الرسول ﷺ كثيرا، ومن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: "ادعمهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم استجابوا لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وصدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم"[1]، وكذلك ما جاء في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم حيث جاء في الرسالة: "فإني أدعوك بدعاية الإسلام"[2].

الحاجة إلى الدعوة وأهميتها:

يقول الشيخ علي محفوظ في هذا الموضوع: "ومن أمعن النظر علم أن الدعوة حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب سواء أكان ذلك الأمر حقا أم باطلاً"[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، جـ١، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠.
(٢) الشتيوي، الدعوة الإسلامية، ص ٣٤.
(٣) هداية المرشدين، ص ١٤.

فالخير والشر يصطرعان والحق والباطل يتغالبان منذ إباء إبليس السجود لآدم عليه السلام والحق والخير والإيمان والكفر والشر والباطل أما أن ينتصر هذا أو ذاك ولكل أسلحته لكن اقتضت إرادة الله أن يكون البقاء للأصلح، والدوام للأنفع، وأن يكون النصر دائما في النهاية للحق، وأن تكون العاقبة لأهله والمستمسكين به ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٨] لكن هذا الحق لن ينتصر إلا إذا دافع عنه جنوده وأناس تعلقت قلوبهم بالآخرة وانتصروا على أنفسهم، من أجل ذلك أرسل الله الرسل وأيدهم بالكتب السماوية لينير لهم طريق الظلام إلى النور، ولقد خلق الله الإنسان وركب فيه العقل وخلقه على فطرة نقية ﴿...فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم:٣٠]. ولكن العقول وحدها لا تصل إلى الحق لأنها لا تصل إلا إلى محسوس، والإنسان نفسه لا يهتدي إلى الغيبيات إلا عن طريق الرسل الذين حملهم الله أمانة التبليغ فأوحى إليهم. ولقد اقتضت عدالة الله ألا يعذب الناس حتى يبعث فيهم رسالة فيقول تعالى: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥] . ولا يصح أن يقال إن الرسول هذا هو العقل كما نقل عن المعتزلة وإذا سلمنا بهذا فإن الإنسان لا يهتدي إلى الحق إلا بعد تبليغ الرسل له يجب أن نسلم كذلك بأنه بعد ختم الرسالات وانقطاع النبوءات كان لابد من قيام الدعاة بوظيفتهم وسيرهم على آثارهم ومصداق ذلك من القرآن الكريم قول الله عزوجل: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ

obeikandi.com

﴿كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة البقرة:٣١]، ولذلك يجب على كل قادر على التبليغ والدعوة إلى الله أن يقوم بأدائهما[١].

وعلى ذلك فالدعوة إلى الله مطلوبة لأنها تعليم وتربية وعليها عماد السعادة في الدنيا والآخرة فأمر الله بها نبيه محمدا ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وأمر بها المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، كما أمرهم بها النبي ﷺ بمثل قوله: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[٢]، وقوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره"[٣].

ومن مظاهر أهمية الدعوة أن الله سبحانه وتعالى جعلها عنوان شرف لأمة النبي ﷺ تمضي بها في العالمين داعية إلى الخير ومحذرة من الشر، منتصرة للحق ومناهضة للباطل بحيث أصبحت هذه المهمة على هذا النحو كأنها دور قدري منوط بهذه الأمة أن تنهض به لهداية البشرية وقيادتها بالإسلام نحو الحق والعدل على أساس من الإيمان بالله الذي بيده كل شيء وإليه المرجع والمصير قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) محمد شوقي نصار، دعوة الحق، مطبعة التقدم، ص ٤٩ – ٥٢.
(٢) البخاري، كتاب باب العلم، جـ١، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ص١٩٩.
(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، جـ١٢، ص ٢٦١.

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، كما جعلها من أهم قواعد المجتمع الصالح قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الحج:٤١].

وهذه الأمانة الثقيلة التي تحملها رسل الله فبلغوها للناس على أكمل وجه فأثرت في نفوس من توجهوا بهذه الدعوة فأصبحت ميراثا توارثه أتباعهم من بعدهم يقومون به إنطلاقا من توجيهات القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ...﴾ [سورة آل عمران:١٠٤] وترغيبه سبحانه في القيام بهذا الواجب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾ [سورة فُصِّلَت:٣٣]، وبهذه الدعوة العامة يتم التناصح بين المسلمين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم.

مراتب الدعوة وأقسامها (والدعوة العامة التي يتم بها التناصح بين المسلمين):

وللدعوة إلى الله مراتب: **الأولى**: دعوة الأنبياء لأنها راجحة على دعوة غيرهم: أنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا، والدعوة بالسيف ثانيا حماية لها ودفاعا عن الحق وأهله لا قهرا على الدخول في الدين فما شرع الجهاد إلا لحماية الدعوة ومنع الاعتداء على المسلمين وتأمينهم على دينهم وعقيدتهم وقلما اتفق لغيرهم الجمع بين الطريقين، وأنهم المبتدئون بهذه الدعوى وأما العلماء فإنهم يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء والسابق بإظهار الأمر الشريف أفضل، وأن نفوسهم أقوى قوة وأرواحهم أصفى جوهرا فكانت تأثيراتها في إحياء القلوب الميتة وإثارة النفوس المظلمة أكمل، وإن نفوس الأنبياء حصل لها ميزتان: الكمال في الذات

والتكميل للغير فكانت قوتهم على الدعوة إلى الله تعالى أقوى وكانت درجاتهم أفضل وأكمل.

الثانية والثالثة: وهما دعوة العلماء والملوك بطريق الخلافة عن أنبياء الله تعالى وذلك أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفتين: العلم والقدرة، والعلماء نواب الأنبياء في العلم، والملوك العادلون نواب الأنبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الأرواح، والقدرة توجب الاستيلاء على الأجساد، فالعلماء خلفاء الأنبياء في عالم الأرواح، والملوك خلفاء الأنبياء في عالم الأجساد.

والدعوة العامة التي يتم بها التناصح بين المسلمين تنحصر في عدة نقاط:

أولاً: أن يقوم المسلمون بدعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق، وهذا واجب هذه الأمة بمقتضى جعلها خير أمة أخرجت للناس مقيدا بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبحكم وصف المؤمنين الذين أذن لهم في القتال في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج:٤١] ، فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ويتمثل هذا في البعثات التي يرسلها الأزهر والدول المسلمة من الدعاة إلى البلاد غير الإسلامية لنشر الإسلام والتمكين له في هذه البلاد.

ثانياً: دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير، والأمر فيما بينهم بالمعروف والنهي عن المنكر ويقوم بهذا الموضوع خواص الأمة العارفون بأمور الدين وأسرار التشريع، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ [سورة التوبة:١٢٢].

ثالثاً: ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير والترغيب فيه، والنهي عن الشر والتحذير منه، كل بما يعرفه، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر هو يعلمه تصدى لنصحه وإرشاده وبين له أمر الله وما نهى عنه برفق ولين، فذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي جعله الله عز وجل آية الإيمان الصحيح وسببا للنجاة من الخسران المبين[1] في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [سورة العصر ١ :٣]

حكم الدعوة ووجوب تبليغها:

"إن الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى شديدة وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين والمهمة التي بعث الله لها النبيين والمرسلين ولو أهمل أمرها لاضمحل الدين وفشا الضلال وعم الفساد وهلك العباد وساء حال البشرية لهذا جاء وجوبه في الكتاب والسنة وعليه انعقد الإجماع، قال تعالى:

(١) محمد شوقي نصار، دعوة الحق، ص ٤٧، ٤٨.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

ولهذا كان للعلماء أقوال منها: "إن الدعوة إلى الله واجبة وجوبا كفائيا إذا كثر الصالحون" وقال بعضهم تكون عينيه كفائية فلو قام بهذا البعض سقط الطلب عن الباقي ويكون عينيا إذا لم يوجد إلا واحد يصلح لها فتجب عليه بعينه". وقال البعض الآخر: أنها تكون واجبة في الأمر بالشيء الواجب والنهي عن الشيئ المحرم وتكون مندوبة في الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه، وإن كان ذلك يتم ببعض الدعاة كان الواجب أو الندب على الكفاية وإن كان يتم بواحد بعينه كان الوجوب أو الندب على التعيين والدعوة إلى الله مهمة كل إنسان في أمة الرسول ﷺ كل إنسان يقوم بها حسب استطاعته فمن علم شيئا وجب عليه تبليغه"(١). أما دقائق الأمور فهي واجبه على العلماء ولا نصيب فيها للجاهل حتى لا يفتري على الله الكذب، قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ... ﴾ [سورة النحل:١١٦]، وبقوله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا"(٢).

ولقد رغب الحق سبحانه وكذلك الرسول ﷺ في القيام بواجب الدعوة والتحذير من القعود عن آدائها، فقال سبحانه محذرا المتهاونين بواجب الدعوة: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ

---

(١) الأوقاف، قضية الدعوة والجهاد، ص ١٢.
(٢) صحيح مسلم، جـ١٦، باب العلم، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة ٧٨ :٧٩] .

وقال ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمع."[2]، وقوله ﷺ : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[3]. وهدد الرسول المتهاونين بتعجيل الله عقابهم في الدنيا فقال عليه الصلاة والسلام: "لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم تدعون فلا يستجيب لكم"[4].

أهداف الدعوة :

تهدف الدعوة إلى:

أولا: تأسيس مجتمع إسلامي: كدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، التي كانت تبدأ في المجتمع الجاهلي من دعوة الناس إلى دين الله وتبليغهم وحيه وتحذيرهم من الإشراك به.

ثانيا: دعوة الإصلاح في المجتمعات المسلمة التي أصيبت بشيء من الانحراف وظهر فيها المنكرات وضيع فيها بعض الواجبات.

ثالثا: استمرار الدعوة في المجتمعات القائمة بالحق للحفاظ على سلامتها بالموعظة الدائمة والتذكير والتزكية والتعليم[5].

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس على الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص٧٢، مسلم: فضائل الصحابة، باب ٣.
(٢) أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، جـ٣، ص ٣٢١.
(٣) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص ٢٢٧.
(٤) السيوطي، الجامع الصغير وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط جـ٢، ص ١٢٢.
(٥) جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة للطبع والنشر، ص ١٦، ١٧.

كما تهدف الدعوة إلى الأمانة فقد حمل الله أنبياءه أمانة الدعوة وأمانة تبليغها إلى الناس، وإذا ما قصروا فيها فإن تقصيرهم سوف يعرضهم للحساب الشديد عند الله. لذا رأينا الرسل عليهم السلام يؤدون واجبهم في نشر الدعوة ولو كانوا في أحرج ظروفهم وأضيق أوقاتهم. فهاهو سيدنا يوسف عليه السلام انتهز فرصة وجوده في السجن والتفاف الناس حوله فدعاهم إلى التوحيد وترك ما جاءوا من أجه وهو تفسير الرؤيا وهذا ما قصه القرآن الكريم بقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٣٩) ﴾ [سورة يوسف:٣٩] . ثم يعبر الرؤيا بعد تبليغ الدعوة فيخبرهم ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ... ﴾ [سورة يوسف:٤١] ، فإن سيدنا يوسف عليه السلام يعلم بأن الدعوة أمانة وأن تبليغها واجب لهذا بلغها وهو في ضيق السجن وليعلم الدعاة كذلك أن في أداء الأمانة إقامة الحجة على الناس حتى لا يعتذر معتذر بعدم بلوغ الدعوة إليه قال تعالى: ﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا (١٦٥) ﴾ [سورة النساء:١٦٥] .

كما تهدف الدعوة أيضا إلى إنقاذ الأمة. فالدعاة حينما يؤدون الأمانة ويقيمون الحجة فإنهم يقدمون لأمتهم أجل الخدمات لإنقاذها من الضلال والأخذ بيديها إلى الخير ويبعدون الأمة عن الدمار والخراب وحتى لا تتعرض لسخط الله ولا ينزل بها عذابه وتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة[1]، وهكذا بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ليعرفوا جماهير البشر بالله وبما أمر به ونهى عنه وليقودوهم قيادة حسنة إلى الصراط المستقيم. والصراط المستقيم خط معنوي ترسمه حسب طبيعة كل إنسان إرشادات الوحي الأعلى، ولما كان الناس خطائين

---

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص٨٨.

بطبيعتهم، وكانت أهواؤهم تغلب على أحوالهم فإن نقلهم إلى الصواب وتثبيتهم عليه يحتاج إلى جهد متصل ودعوة مستمرة". ولذلك جاء الأمر بالدعوة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ...﴾ [سورة الشورى:١٥] ، و﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ...﴾ [سورة يوسف:١٠٨] ، و﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] و﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ...﴾ [سورة فصلت:٣٣] و﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ...﴾ [سورة يونس:٢٥] .

فضل الدعوة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

يقول الله عز وجل موضحا فضل الدعوة إلى عبادته ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [سورة فصلت:٣٣] أي دعا عباد الله إليه وهذا الداعية مهتد في نفسه بما يقوله لنفسه ولغيره وليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك(1). وهذه بشارة من الله سبحانه وتعالى يطمئن بها قلوب الدعاة إلى عبادته ولاسيما إذا ما أخلصوا النية في القيام بهذا العمل الجليل وبين فضله.

ويقول صاحب الظلال الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: "إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة. ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤ مكتبة التراث الإسلامي، ص ١٠٠.

الذات فتصبح الدعوى خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ". والمقصود بالداعية في هذه الآية طبقة العلماء العاملين الذين يجمعون بين الإيمان والاعتقاد لدين الإسلام والعمل بالخير والدعوة إليه.

ويقول الله عز وجل كذلك ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤] ويفسر ابن كثير [1] هذه الآية فيقول ولتكن منكم أمة قائمة بأمر الله في الدعوى إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله ﷺ "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" ثم قال "الخير اتباع القرآن وسنتي" رواه ابن مردوديه، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، ويثيب الله أولئك الذين قاموا بهذا الواجب الشاق بالفلاح في الدنيا والآخرة فقال سبحانه ﴿... وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة التوبة:٨٨] وهذه الثمرة العظيمة درسا للدعاة المخلصين حتى لا تثنى عزائمهم عن القيام والاستمرار في أداء هذه المهمة.

وهناك الكثير من الآيات التي توضح فضل ومنزلة الدعوة إلى اللغة ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ...﴾ [سورة التوبة:١٢٢]. ﴿... فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:٤٣] ، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ...﴾ [سورة آل عمران:١٨٧] ، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥] ، ﴿... وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة الجمعة:٢].

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الرشيد بحلب، جـ ١٥، ص ١٢٣.

obeikandl.com

ويبين الرسول عليه الصلاة والسلام فضل الدعوى من خلال أحاديثه النبوية الشريفة فيقول ﷺ: "وإن العماء ورثة الأنبياء"[١]. وروى الترمذي عن أبي أمامة مرفوعا "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر.. يصلون على معلم الناس الخير"[٢]، وروى مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[٣]. وروى البخاري عن علي كرم الله وجهه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم"[٤]، وقال رسول الله ﷺ: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة"[٥]. وقال ﷺ: "كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة"[٦]، وقال ﷺ: "مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكن الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ"[٧]، وقال عليه السلام: "الدال على الخير كفاعله"[٨].

(١) أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، جـ٣، ص ٣١٦.
(٢) الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، جـ٥، ص ٤٨، وقال هذا حديث غريب.
(٣) مسلم، م٦، جـ١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ص٢٢٧.
(٤) البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة، جـ١٢، ص٧٢.
(٥) أخرجه أحمد في المسند، جـ٣، ص ١٥٧.
(٦) العجلوني، كشف الخفاء، جـ٢، ص ١٦٨.
(٧) البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، جـ١، ص ٢٧٤.
(٨) ذكره الحسابي في مجمع الزوائد، جـ١، ص ١٦٦، وعزاه للبزار.

مصـــادر الدعـــوة

أولا: القرآن الكريم:

إذا ما أراد الداعية المسلم أن يأخذ أصول دعوته فإن الأصل الأول هو القرآن الكريم الذي يستقي منه الدعاة مبادئ الدعوة ومناهج الرسالة وصولا إلى تحقيق الغاية التي من أجلها يبذلون الجهود ويواصلون الجهاد[1]. فالقرآن الكريم مصدر الإسلام لما حواه من علم الغيب ووصفه الله بأنه برهان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ [سورة النساء:١٧٤] ، وبأنه نور ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ...﴾ [سورة الشورى:٥٢].

ولذلك "ينبغي على الداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع، بل يجب به أن يحفظ القرآن كله ويستظهره متى تيسرت له أسباب ذلك ليكون أقدر على استحضاره، والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة. فالقرآن ذخيرة لا تنفد ومعين لا ينضب لإمداد الدعاة"[2]. ومما يلاحظ على دعاة اليوم الذين كلفوا بشغل وظيفة الإمامة دون التسلح بكافة أسلحة الدعوة أنهم لا يحفظون القرآن الكريم بل ربما لا يحسنون تلاوته وهذا مما يؤثر عليهم في دعوتهم إذ يجعلهم يهربون من هذه المهمة بل ربما يحدث أكثر من ذلك وهو انصراف الناس عنهم لأنهم أصبحوا لا يثقون في كلامهم فقد جربوا عليهم عدم الكفاءة فأصبحوا لا يعيرون دعوتهم اهتماما.

---

(١) محمد طلعت أبو صير، الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم، المطبعة العربية الحديثة، ص٤١٨.
(٢) يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مكتبة وهبة ١٩٨٦، الطبعة الثانية، ص٨.

obeikandi.com

فالقرآن الكريم يمتاز بخصائص عدة منها:

أولا: " إنه كلام الله والمعنى أنه لا دخل لأحد فيه. وهذا واضح من آياته المحكمات فيقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾

[سورة الشعراء١٩٢ :١٩٥].

ثانيا: ومن نعمة الله على أمة الإسلام أن جاءت كلمات القرآن واضحة بينة، ومن اليسير على الإنسان أن يحفظها ويفهم معانيها فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة القمر:١٧] ، "وكل هذا يوجب على الداعية أن يعرض القرآن سهلا ميسرا كما أنزله الله ولا يضعه في إطار من الألغاز والمعميات والتكلفات التي تخرجه عن طبيعته الميسرة والميسرة كذلك".

ثالثا: لقد تحدى الله به العرب جميعا وهم ملوك البيان وفرسان البلاغة ومع ذلك عجزوا على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٨]
كما جاء القرآن الكريم معجزا بيانيا وموضوعيا وعلميا.

رابعا: ويمتاز القرآن الكريم بأنه صالح لكل زمان ومكان خالد عبر الأجيال وقد تكفل الله سبحانه بحفظه من التحريف فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ... ﴾ [سورة فصلت٤١ :٤٢].

خامساً: "وكما أنه كتاب الزمن كله هو كتاب الدين كله: جمع أصول الهداية الإلهية، والتوجيه الرباني في العقائد والشعائر والآداب والأخلاق، كما جمع أصول التشريع الإلهي في العبادات والمعاملات وشئون الأسرة وعلاقات المجتمع الصغير والكبير، المحلي والدولي حتى أن أطول آية فيه إنما أنزلت لتنظم شأناً من شئون الحياة الاجتماعية وهي آية الدين"، ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩]، وقد أكد الخليفة الأول أبو بكر الصديق أن القرآن شامل لكل شيء فقال: "لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله".

فإن تدبرنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن الله تبارك وتعالى يقص علينا أخبار الرسل في أمور الدعوة حتى نفقهها ونتزود منها لأن الله جل جلاله ما قصها علينا وأخبرنا بها إلا لنستفيد منها ونتزود من معانيها قال تبارك وتعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة هود:١٢٠]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤاد يا محمد أي قلبك ليكون لك ممن مضى من إخوانك المرسلين أسوة"[١]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [سورة يوسف:١١١]، فما جرى للأنبياء

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية، ص ٤٦٥.

وأممهم نهج ينبغي أن يستفيد منه الدعاة قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ...﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

ألا وإن الغاية من إنزال القرآن على قلب الرسول ﷺ أن يضيء للناس طريق الظلام ويرشدهم إلى طريق النور قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [سورة إبراهيم:١]. وعن علي رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ، إن أمتك ستفتتن بعدك فسأل رسول الله ﷺ، أو سئل ما المخرج منها؟ قال كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولي هذا الأمر من جبار يحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فلم تنته أن قالت: ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الجن١ :٢]. على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه[1].

ثانيا: السنة النبوية:

سنة الرسول ﷺ هي المصدر الثاني في التشريع والمصدر الثاني من مصادر الدعاة، وهي كما عرفها علماء اللغة أنها العادة والطريقة قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ...﴾ [سورة آل عمران:١٣٧] أي طرق، وقول الهزلي: فلا في تجزعن من مسيرة أنت سرتها ـ فأول راضي سنة من يسيرها، وعرفها علماء الحديث بأنها ما جاء منقولا عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز كان بيانا

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ١، كتاب القرآن، ص ٢٧٢.

لما في الكتاب أولا، وتطلق كذلك في مقابل البدعة، وهي تشمل قول النبي ﷺ وفعله وتقريره تلقى ذلك بالوحي أو بالاجتهاد بناء على صحته في حقه، وما جاء عن الصحابة أو الخلفاء وهي في إصلاح علماء الأصول ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير، ومنزلة هذه الدراسة من متن الحديث منزلة التفسير من القرآن وكما أن الدعاة لا يستغنون عن القرآن وتفسيره لا يستغنون كذلك عن الحديث وما هو كالتفسير له عملا بما هو مقرر من ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام وتلك ضرورة دينية لا يخالف فيها إلا من لا حظ له في دين الإسلام(١).

وإن الله عز وجل أمرنا بالعمل بما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ...﴾ [سورة الحشر:٧]، والرسول ﷺ أتاه الله بجانب القرآن الكريم بيان هذا القرآن وهو السنة النبوية التي تتمثل في قوله وعمله وصفاته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله"(٢).

فإن السنة النبوية بمثابة المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم وهذا مصداق قول الله: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل:٤٤]، فمادام المرء قد أيقن بطاع الرسول بعد طاعة الله لزمه أن يقبل كل

---

(١) أبو صير، المرجع السابق، ص ٤٤٩، ٤٥٠، عبد الغفار عزيز، أضواء على النظم والثقافة الإسلامية، ج١، بيروت، ص ٥٨؛ عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي ن دار العلم للملايين، بيروت، ص ٤٥٩؛ الشتيوي، المرجع السابق ن ص ٩٥.
(٢) أبو داود، السنن، باب لزوم السنة، جـ٤، ص ١٩٩.

obeikandl.com

ما ورد عن رسول الله ﷺ لأن هذا يعتبر ثمرة الطاعة، وكل من قبل عن الله في كتابه قبل عن رسول الله ﷺ في سنته لأن الله عز وجل قد فرض طاعة رسوله ﷺ في سنته لأن الله عز وجل قد فرض طاعة رسول الله ﷺ على خلقه، وأمرهم أن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل. وسنة الرسول ﷺ إنما هي وحي من عند الله تعالى قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [سورة النجم ٣-٤]، والعمل بالسنة انطلاقا من أمر الله بها قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴾ [سورة النساء:٥٩]، والقرآن الكريم بين بعض الأحكام وترك الباقي لبيان الرسول ﷺ فبيانه للأحكام هو بيان للقرآن وتفصيل وبيان لما أجمله القرآن من صلاة وزكاة وحج وكل ما يتعلق بالمعاملات والعبادات(١).

ولما كانت مهمة الرسول الله ﷺ البلاغ والبيان، اهتم المسلمون بأوامره ونواهيه وحفظوا أقواله وأعماله وأحواله حتى تتم لهم الطاعة والأسوة والاقتداء، والسنة تتلو الكتاب لأنها مظنونة وهو قطعي في الجملة والتفصيل ولا تعتبر إلا بعده والعناية بها تلى العناية به فلا ينبغي للمرء أن يحدث إلا بعد قراءة القرآن وحفظ بعضه على الأقل، قال حفص ابن غياث: أتيت الأعمش فقلت حدثني قال: أتحفظ القرآن ثم جئته فاستقرأني فقرأته فحدثني.

---

(١) انظر التفصيلات في: صالح أحمد رضا، ظاهرة خطيرة في رفض السنة النبوية في المجتمع الإسلامي، بيروت، ص ٥ – ٢٣.

ويأتي بيان السنة للقرآن على عدة أوجه منها:

أولا : أن السنة تأتي مؤكدة ومقررة لمعان وردت في القرآن الكريم.

ثانيا: أن السنة تأتي مفصلة لما جاء في القرآن الكريم.

ثالثا: أن السنة تأتي مفصلة لما جاء في القرآن الكريم.

رابعاً: أن السنة تأتي لتوضيح ما أشكل في القرآن الكريم.

خامساً: أن السنة قد تأتي مقيدة للمطلق في القرآن الكريم.

سادساً: أن السنة قد تأتي بأحكام سكت عنها القرآن الكريم.

ثالثا: سيرة السلف الصالح:

وفي سيرة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان سوابق مهمة في أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى الله لأن السلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله ومازال العلم يستدلون بسيرتهم[١].

رابعا: استنباطات الفقهاء:

يعني الفقهاء باستنباط الأحكام الشرعية العلمية من أدلتها الشرعية ومن هذه الأحكام ما يتعلق بأمور الدعوة إلى أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والحسبة، وقد أفردوا لهذه الأحكام أبوابا خاصة في كتبهم الفقهية وما قرروه من اجتهادات في أمر الدعوة ومجالاتها وحكمة اجتهاداتهم الأخرى التي يجب اتباعها، فالوسائل والأساليب في الدعوة من أمور الدين مثل سائر العبادات والمعاملات.

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٣٩٩.

صفات وآداب الداعية:

إن مهمة الداعية إلى الله من أشق المهام وأصعبها خاصة عندما تتمرد الجهالة ويكثر أدعياء المعرفة إلى جانب التسلط والطغيان على المؤمنين من قبل أعداء الدين، ولكن رغم هذه المشاق تكون الدعوة لازمة وضرورة من ضرورات الحياة ودعامة من دعائم التقدم والتطور رغم الصعاب التي قد تعترض المسيرة وماذاك إلا لأن الدعوة غرس للعمل الصالح دون من أو رياء حتى ينمو ويتفرع وتصبح ثماره دائبه القطوف بل تبقى دوحته مستمرة الإيتاء والعطاء كلما توفر التجرد وابتعد الغرض والهوى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت:٣٣]، حيث أشارت الآية إلى ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح إذ لا معنى لقول بلا عمل، ولهذا كان قول العلامة ابن كثير[1]: أي وهو في نفسه مهتد فنفعه لنفسه ولغيره وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر وهذه عامة في كل من دعا إلى خير".

والداعية العالم المتجرد يكون أثره عظيما ونفعه عميما لأنه يعمل على توفير الاستقرار النفسي والروحي لأفراد الأمة فينصرف كل فرد من أفرادها إلى الجد والاجتهاد في عمارة الكون بحكم أنه خليفة الله في الأرض، ومن ثم نرى أن للدعوة إلى الله دورا كبيرا وأثرا فعالا في التربية بمفهومها الواسع منذ القدم فلقد اختلفت الوسائل وتعددت الأساليب وتفاوتت من عصر إلى عصر ولكنها في كل العصور تعني بالإنسان باعتباره الطاقة ذات التأثير الفعال في مجالات التنمية المختلفة وباعتباره الهدف والغاية من العمليات التنموية فهو أداة التغيير هو الهدف من

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص ١٠٠.

obeikandl.com

التغيير، ولكنه لن يكون فعالا ولن يكون قادرا على التغيير دون توجيه وتبصير بحيث يدعوه ذلك التوجيه إلى تغيير ما بنفسه ليتغير ما حوله[1]، قال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ...﴾ [سورة الرعد:١١].

وعلى ذلك يجب على الداعية أن يتحلى بالصفات التي تؤثر في المدعوين وتكسبه ثقة وتأثيرا وتجعل منه القدوة الحسنة لهؤلاء المدعوين منها:-

أولا: الإيمان بالدعوة:

لأن الدعاة إلى الله هم ممثلو الرسل وورثة الأنبياء، والمعلوم أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، والدعاة إلى الله هم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس يحملون أمانتها ويبلغون رسالتها والناس لهم تبع، لهذا كان لابد للداعية من الخلق الحسن الذي يجلب له الناس ويجمعهم على الخير ويكون لهم به قدوة حسنة وكان لابد للداعية من العلم ليفقه به الجاهل ويرشد به الضال.

والإيمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الإنسان، والإيمان الراسخ بأن الإسلام هو خاتم الأديان وإنه الدين الذي بعث به محمد ﷺ لإنقاذ العالم وتخليصه من التخبط في الظلمات، هذا الإيمان يدفع صاحبه بحماس منقطع النظير على أن يدعو الناس إلى الإسلام بثقة واطمئنان وأن يحثهم على اتباعه والتمسك بهديه والعمل الدائب الجاد لنصرته. أما الدعاة المحترفون والمتجردون من هذا الإيمان الذين اتخذوا الدعوة وسيلة للعيش الرغيد وسببا للرزق الوافر، وغاية

---

(١) محمد حسين أبو سم، "الدعوة إلى الله بناء للإنسان بناء كاملا" مجلة الأمة، العدد ٤٨، سنة ١٤٠٤هـ ص.

يتتهون إليها للشهرة والزعامة، فهؤلاء كفئران السفينة لا يهمهم إلا بطونهم غرقت السفينة أم نجت، والفرق بين الصنفين واضح بين، فالصنف الأول يؤثر بأسلوبه المملوء بالإيمان وبطريقته المشحونة باليقين فيسير الناس تبعا لإرشاده ويسلكون السبيل الذي يسلكه، ويسخرون كل ما يملكون لنصرة الحق ونشره بين الناس. وأما الآخرون فكلامهم كالطبل الأجوف يرعب ولا يطرب ويقلق ولا يرشد لهذا فإنه يدخل من أحد الأذنين ليخرج من الأخرى فلا ينفعل به الناس ولا يكاد يصل إلى آذانهم حتى يتساقط تحت أقدامهم، ولهذا سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله "لماذا يجلس الناس إلى بعض الوعاظ والمرشدين فيتأثرون بهم ويبكون بين أيديهم تصل الكلمة إلى آذانهم، فتسلك طريقها إلى قلوبهم فتستقر فيها، وتترجمها جوارحهم عملا خيرا رشيدا يصدق ما في قلوبهم، فإذا جلسوا على آخرين وذكروهم بمثل ما ذكرهم به الأولون، وقد يكون الأسلوب أجود والألفاظ أحلى والأداء مثيرا، ومع كل هذا فإنهم لا يتأثرون، ويقومون من مجلسهم وكأنهم لم يكونوا فيه؟ أجاب ابن المبارك السائل: ثكلتك أمك، النائحة المستأجرة كمن تبكي ولدها؟ ولهذا قالوا: ليست النائحة كالثكلى"[1].

ثانيا: القدوة الحسنة:

الإسلام قول وعمل، فلا ينبغي على الداعية أن يفصل بين القول والعمل حتى لا يكون سببا في انصراف الناس عنه، فالناس يتأثرون بالعمل أكثر من تأثرهم بالقول، كأن يحث الداعية الناس على أداء الصلوات في جماعة وهو لا يحافظ على أداء الصلاة في جماعة أو أي فعل من أفعال الخير[2]، وقد ذم الله سبحانه وتعالى

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة، ص ٩٣ – ٩٥.
(٢) أحمد بن محمد طلحون، مرشد الدعاة إلى الله، مطبعة التقدم بجدة، ص ١٤، ١٥.

من يدعو إلى الخير ولا يعمل به في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [سورة الصف:٣] ،

وعلى الداعية أن يقتفي في سلوكه وحركته أثر رسول الله ﷺ في دعوته قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة. لقد حدث بعد صلح الحديبية أن أمر أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رءوسهم: "فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام رجل واحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة – رضي الله عنها – فذكر ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك. فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما".

ثالثا: الإخلاص :

إن الإخلاص سمة من سمات المؤمنين الصادقين كما قال سبحانه: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ... ﴾ [سورة النساء:١٤٦] ، ولقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بالتخلق بهذا الخلق ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ... ﴾ [سورة البينة:٥] ، ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴾ [سورة الزمر:٣] ، ﴿ ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ... ﴾ [سورة الكهف:١١٠] ، ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ... ﴾ [سورة الأنعام:٥٢] ، والإخلاص هو سر نجاح أي عمل من الأعمال ولاسيما الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى يقول الإمام علي كرم الله وجهه:

"لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: "اخلص العمل يجزك (أي يكفي منه القليل)"[1].

وإن الرياء محبط للعمل وعلامته كما قال الإمام علي كرم الله وجهه:

١- إذا كان وحده يكسل ٢- إذا كان في الناس ينشط

٣- يزيد في العمل إذا أثنى عليه ٤- ينقص من العمل إذا لم يثن عليه.

فليكن الداعي إلى الله شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق حتى تكون دعوته خالصة لله رب العالمين ويقول لنفسه دائما: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، وإذا أراد الداعية نجاحا لدعوته أن يبذل أقصى جهده وأن يثمر الإخلاص في نفسه أولا فيبذل للإسلام ولا يثري على حسابه[2].

وإن ضعف الإخلاص يعود إلى قلة المعرفة لله أو إلى سوء الظن به وإن كان ضعفاء الإخلاص لا يعترفون بشيء من هذا، ولعلهم يزعمون لأنفسهم معرفة لا تسبق ظنا لا يفضل[3]، ولكي يعتصم الداعية من هذه اللوثات ويبرأ إلى الله من عقباها أرشده النبي ﷺ أن يتوجه إلى الله بهذا الدعاء: "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه"[4].

---

(١) الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، جـ١، باب ما جاء في الإخلاص والصدق، ص٢٣، ونسبه إلى الحاكم، وقال صحيح الإسناد.
(٢) الوكيل، المرجع السابق، ص ١١١.
(٣) الغزالي، مع الله، ص ٢٠٥.
(٤) أحمد في المسند، جـ٤، ص ٤٠٣.

رابعا: الحلم:

من الآداب التي يلتزم بها الداعية، وهو خصلة من الخصال التي يحبها الله ورسوله والحلم هو الصفح عن الذنوب وهو الصبر الذي يصاحبه هدوء في الطبع بحيث لا يعاقب أحدا، والداعية إذا لم يكن متحليا بهذا الخلق لا يستطيع أن يواجه المدعوين لأن بعض المدعوين يصدر ما يؤثر على النفوس ويغضب القلوب فمنهم الخلوق المهذب ومنهم الشرس العنيد. والحلم خلق من أخلاق الأنبياء أوصى به النبي ﷺ عندما مدح "أشج عبد القيس" لما فيه من الحلم والأناة فقال: "إن فيك لخلتين يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة "وليس المراد بالحلم السكوت على الهوان والاحتقار فإن المؤمن عزيز كريم يأبى الضيم ويرفض الذل وإنما يكون الحلم على جهل جاهل أو سفه سفيه، "فليس من العفو التسامح الموقوت الذي يحتجبه صاحبه السيئة في نفسه لينتقم في وقت آخر"، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٩] ، وقد حث الرسول ﷺ على ذلك فقال: "ابتغوا الرفعة عند الله. قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحلم عمن جهل عليك"[١].

خامسا: الرحمة والرفق:

وعلى الداعي أن يعرف بوضوح إن رسالته للناس جميعا هي رسالة رحمة كما أخبرنا القرآن الكريم وهو يخاطب الرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧] رحمة في العقيدة والتشريع والأخلاق، فعلى الداعي الذي يدعو الناس أن يكون متخلقا بخلق الرحمة حتى يكون رحيما بالمدعوين لأن الرحمة

(١) السيوطي، الجامع الصغير، جـ، ص ٥ وعزاه لابن عدي.

صفة اتصف بها النبي ﷺ فيقول تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وأمره الله أن يتخلق بهذا الخلق في مخاطبته للناس فقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩] ، والرحمن لا تتحقق إلا بالحرص على من تدعو فلا تكن مبغضا لهم بل مشفقا عليهم ترى مالا يرون فتأخذ بنواصيهم إلى الخير ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

والداعية حين تغشاه الرحمة ويتحلى بهذا الخلق يعمق في نفسه الإحساس بالتيسير على الناس والرفق بهم فربه الكريم لا يريد من الخلق إلا اليسر من الأمر ﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴾ [سورة البقرة:١٨٥] ، لذلك قال رسول الله ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا..."[١]، ومن الرحمة أن تختار أيسر الأمرين ولا تشدد على الناس فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الخلق عنه، ويذكرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك حينما اشتد أذى المشركين له فلم يزد على قوله: "اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله"[٢].

سادسا: التواضع:

والتواضع هو خفض الجناح والتودد للمؤمنين وهو ضد الكبر، والكبر صفة مذمومة ذمها الله ورسوله ﷺ ، والدعاة إلى الله من صفاتهم إنهم مجمعون غير

(١) البخاري، كتاب الأدب، جـ١٠، ص ٥٤١.
(٢) البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة في اسماء، جـ١٣، ص٣٨.

منفرين ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩] ، ويجب ألا يلتبس التواضع بالذل والخضوع فالمؤمن عزيز النفس وحرام عليه أن يذل نفسه لغير إخوانه المؤمنين قال تعالى: ﴿... أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ...﴾ [سورة المائدة:٥٤]، والتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار والتفافهم حولهم، ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التواضع حتى قال أنس رضي الله عنه "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت" ولقد أوصى النبي ﷺ المؤمنين جميعا بالتواضع ولاسيما الدعاة فعنه ﷺ أنه قال: "أيها الناس إني أوحى إلي أن تواضعوا، ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد وكونوا عباد الله إخوانا"(١).

"وذلك لأن الكبر يزين للإنسان أنه أعظم قدرا وكمالا من سواه فيركن إلى هذا الاعتقاد ويدأب على تحقير من دونه ويزدريه ولهذا فإن المتكبر إذا علم استذل المتعلمين وانتهرهم وامتن عليهم وإن خالط الناس استجهلهم واستحقرهم وإن تولى عملا استأثر الخسارة، قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله بن ومن تواضع بعلمه رفعه الله به"(٢).

سابعا: العفة والقناعة:

العفة فضيلة تقي الإنسان من أن يرتكب بيده أو بلسانه أو بشهواته مالا يحل له وربما تمنعه من الحلال إباء وأنفه، وتتمثل العفة في نزاهة النفس وأمانة اليد والأنفة من طلب الطعام أو المال مع شدة الفقر والحاجة قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ

---

(١) مسلم، جـ١٧، ص ٢٠٠.
(٢) عبد الحميد كشك، إلى فرسان المنابر، مكتبة الصحافة للطبع والتوزيع،ص ١٤٨،١٤٧.

﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

وفي الحديث عن النبي ﷺ "خير الصدقة عن ظهر غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول"(١).

فواجب الداعي نزاهة النفس عن شبه الكسب، والاكتفاء بالميسور عن ذل المطالب فإن شبه الكسب إثم، وكذا الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أليق به من الذل، وإذا ابتلى الداعية بعدم العفة أصبح ثقيلا عند الناس ولم يصبح لدعوته أثر في نفوس مدعويه.

كما ينبغي أن تلازم الداعي القناعة، فإذا ما فارقت هذه الصفة الداعية كان مفسدا لا مصلحا وضارا لا نافعا وما هكذا يكون الدعاة إلى الله تعالى، وإن التأسي برسول الله ﷺ في هذه الصفة لهو خير معين على القيام بواجب الدعوة. يقول عبد الله ابن مسعود: "دخلت على الرسول ﷺ وقد نام على حصير وقد أثر في جنبه الشريف. فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه. فقال ﷺ: "مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها"(٢)، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: "اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا"(٣) أي لا يزيد على الحاجة.

---

(١) مسلم، م٣، جـ٤، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ص١٢٥.
(٢) ابن ماجة، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا... جـ٢، ص ١٣٧٦.
(٣) مسلم، كتاب الزهد، جـ١٨، دار إحياء التراث العربي، ص ١٠٥.

openkandi.com

ثامنا: العلم والاجتهاد في العبادة:

إن مما يجب على الداعي أن يحصله في مجال الدعوة أن يكون عالما بالقرآن وذلك بالنظر فيه قبل كل شيء وإلى كونه هدى وموعظة وعبرة وكذلك السنة وما صح من أقوال الرسول وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح وبالقدر الكافي من الأحكام وأسرار التشريع مع الصدق في نشرها، فإذا ما أراد إنسان أن يتصدى لهذه الوظيفة فينبغي عليه أن يكون عالما، فأما الجاهل فضال مضل وضره أقرب من نفعه وما يفسده أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا إذ لا يميز الجاهل الحق من الباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس، قال الحسن البصري: "العامل على غير علم كالسائر على غير طريق والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح".

والعلم والفقه شرط في الأمر الناهي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يكون عمله صالحا إن لم يكن بعلم وفقه" كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، والقول بغير علم افتراء على الله وتكذيب لرسوله، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم"[1]. وقال أبو حامد الغزالي: "فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب، قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر عن الصفا".

---

(١) كتاب الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، جـ١، كتاب العلم، ص٥٧، ونسبه إلى ابن ماجه بإسناد حسن من طريق الحسن أيضا عن أبي هريرة.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فكان يقيم الليل كله حتى تنفطر قدماه وكان يصوم حتى يقال أنه لا يفطر، ويفطر حتى يقال أنه لا يصوم فالاجتهاد في الطاعات والتنافس في الخير من أبرز سمات الدعاة إلى الله حيث تكون الصلة وثيقة بينهم وبين بارئهم فالصلاة معراجهم إلى الله، والصوم جنة من النار والصدقة تطفئ غضب الرب.

تاسعا: الشجاعة:

إنه مما ينبغي أن يتصف به الدعاة الشجاعة فهي خلق أصيل في الداعية إلى الله وشيمه لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس. ومدد هذه الشجاعة الواجبة ونبعها الدافق أن حق الله لابد أن يسود وإن هداه لابد أن يعلو وإن منهجه لابد أن تتضح معالمه وترسو دعائمه، والأمة جمعاء مكلفة أن تكون شجاعة في حماية الدين ورد العادين على حدوده من المجان والفجار.

وقد وقف العلماء في وجه الخلفاء والأمراء لينصحوهم بشجاعة ويردوهم عن التمادي في الغي والضلال لا يخافون في الله لومة لائم ولا يبغون إلا وجه الله سبحانه ومن صور هذه الشجاعة أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

وحكى عن العز بن عبد السلام أنه أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه أخطأ فنادى في مصر على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فإنه أخطأ فيه وإرسال المفتي المنادين يشهرون بفتواه على هذا النحو خلق عجيب ودلالة على أمانة في العلم لا نظير لها.

وتنبعث هذه الشجاعة من امتلاك الإنسان نفسه وانطلاقه من قيود الرغبة والرهبة وارتضائه لونا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع وشهوة التنعم، فكم من داع يعرف الحق قلبه ولا يستطيع النطق بلسانه خشية أن يمنع من مآرب دنيوية وتعتمد هذه الشجاعة على إيثار ما عند الله والاعتزاز بالعمل له وترجيح جنابه على جبروت الجبارين وعلى أعطية المغدقين وأن يثق بقدرة الله إزاء أي وعد أو وعيد على أساس أن الرزق والأجل إلى الله وحده ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام:١٨] ، ولذلك قال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[1].

عاشرا: الصبر وسعة الصدر:

ولا جدوى من كل الصفات السابقة للداعية إلا إذا تحلى بالصبر وسعة الصدر فالصبر أكثر خلق ذكر في القرآن الكريم فلا إيمان لمن لا صبر له وإن وجد فإيمان ضعيف وصاحبه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ...﴾ [سورة الحج:١١] ، وهناك فهم خاطئ بأن بعض الناس يزعمون أن الصبر سلوك سلبي ولكن الحقيقة أن الصبر سلوك إيجابي، فهل صبر النبي ﷺ على إيذاء قومه وسخريتهم منه كان سلبياً؟ بالطبع لا، فلقد قال ﷺ: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه"[2].

---

(١) أبو داود، السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب الأمر والنهي، جـ٤، ص ١٢٢.
(٢) السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٨.

obeikandl.com

فالصبر سمة من سمات أولي العزم من الرسل ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما يناله من الأذى في سبيل الله فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ ...﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شأن الدعاة الذين يتصدون لدعوة الناس، وعلى الداعي أن يوقن بأن هذا الطريق ملئ بالأشواك وليس مفروشا بالورود والرياحين، وعلى الداعي ألا يضيق صدره بما يقول الأعداء من السفه والجهل ولا بما يدبرون من المكر والخديعة والكيد.. لأن الله مع المتقين بمعونته ونصره، ومع المحسنين بالحفظ والرعاية، ومن كان الله معه فلن يضره كيد الكائدين.

والمسلم إذن مطالب بأن يكون صبره لله ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [سورة المدثر:٧]، فإذا تحقق ذلك حصلت على ثناء الله لك وكنت ممن أثنى الله عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ [سورة الرعد:٢٢] ، ولقد أقسم المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [سورة العصر:٢] ، فحكم المولى سبحانه على جميع الناس بالخسارة إلا من أتى بهذه الأمور الأربعة: الإيمان بالله - العمل الصالح - التواصي بالحق - التواصي بالصبر، لأن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا أكمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح وكمل غيره بالنصح والإرشاد فيكون قد جمع بين حق الله وحق العباد، والتواصي بالصبر ضرورة لأن القيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ولابد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير والصبر على الأذى والمشقة والصبر على ما تبجح به الباطل، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم وبعد النهاية، فما أحوج الداعي إلى الصبر على هذا البلاء ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:٣٤] فإن كان الصبر ضروريا لأي إنسان لاسيما المسلم فإنه بالنسبة للداعي أشد ضرورة له من غيره، والداعي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر.

واجبات الداعية:

ومما يرتبط بهذه الصفات الحميدة التي يتحلى بها الداعية العديد من الواجبات التي يقوم بها الداعية لخدمة الدعوة الإسلامية منها:

أولاً: البعد عن المشاغل الجانبية:

إن الواجب الأساسي على الداعية هو الانشغال بالدعوة وانصراف همه إليها والبعد عن المشاغل الجانبية إذ ربما يكون هذا مدبرا من أعداء الإسلام فإذا لم يكن الداعية صارما حازما يرد خصومه إلى الهدف السامي ويجذبهم إلى الغاية الرفيعة رده الخصوم عن هدفه وصرفوه عن غايته فأغرب وأبعد واتسعت الهوة بينه وبين الدعوة، وقد حدث هذا في فجر الدعوة فلقد كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ أسئلة ليست من صميم الدعوة يقصدون من ورائها صرف الرسول عن الحقيقة العظيمة التي جاء من أجلها كسؤالهم عن الروح والأهلة كما حكى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٥] ، وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... ﴾ [سورة البقرة:١٨٩] ، وربما يكون الانشغال عن الدعوة من قبل الأعداء من باب آخر كأن يرهبوهم وبأن يعدوهم بما سيحل عليهم فيشغلوهم عن الدعوة، وعلى الدعاة حينئذ ألا يلتفتوا إلى هذا التهديد ويجب ألا يرعبهم ذلك الوعيد وليعلموا أنهم في كنف الله عز وجل، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة من تهديد الأنبياء من قبل أقوامهم فها هو سيدنا موسى عليه السلام يهدده

فرعون بالسجن ولم يصرفه ذلك عن الدعوة قال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشعراء٢٩ :٣٠]، وكذلك سيدنا نوح عليه السلام يلجأ إلى ربه بعد أن بذل جهده في دعوة قومه ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة الشعراء١١٧ :١١٨]، ومن هذا المنطلق ينبغي على الداعية أن يتفرغ بكل جهده للدعوة وألا يشغل نفسه بأمور الحياة الدنيوية وما يجعله هينا في نظر الدعوين وينصرفون عن دعوته.

ثانياً: حب الخير للناس:

إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم من أهم ما يجعل القلوب تلتف حوله وتؤازره في القيام بمهمته، فإذا كانت دعوة الإسلام إلى عمل الخير للناس جميعها فإنها في حق الداعية أولى وأكد من غيره لأنها تجعل القلوب تلتف حوله وتبرهن عمليا على صدق ما يدعوهم إليه، إنطلاقاً من توجيهات الله تعالى في قوله: ﴿... فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ...﴾ [سورة البقرة:١٤٨]،

ثالثاً: الترفع عن مجاراة السفهاء ومجادلاتهم:

والسفه هو الجهل وعدم الحلم ورداءة الخلق، والسفهاء هم أولئك الموصوفون بتلك الصفات، ولاشك أن أي عاقل يترفع عن مجاراة هؤلاء أو معارضتهم لأنه لو أراد ذلك لابد أن يعجز، وهؤلاء السفهاء موجودون في كل عصر لا يخلو منهم جيل من الأجيال لهذا حذر القرآن الكريم من مجاراتهم ومناقشتهم قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، فإن الإعراض عن سفاهة السفهاء يفرغ الداعية للمهام العظام التي تنتظره وتجعله يعطي ثمين

وقته لدعوته ويمنح أتباعه كل ما يحتاجون إليه من العلم والتربية والتوجيه، وفوق ذلك تمكن الداعية من عرض دعوته على أولئك الذين يستحقون الاهتمام والتقدير. وهذا ما نلاحظه على تاريخ الأنبياء مع أقوامهم حينما كانوا يواجهون بالسفه من قبلهم فكانوا يردون هذه الاتهامات بتوضيح أحقية رسالتهم ويبلغونها لهم عن الله تبارك وتعالى ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأعراف ٦٠ :٦١] ، وهكذا يكون موقف الدعاة من السفهاء يترفعون ويرغبون عن مجاوبتهم ويفرغون لتبليغ رسالات ربهم، قال تعالى: ﴿... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٣] ، وقال تعالى: ﴿... وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٢].

رابعاً: الاستمرار في الدعوة مهما كانت الظروف:

على الداعية أن يستمر في تبليغ دعوته وألا يصرفه أي صارف عن الدعوة، وألا يفتر عن دعوته لأن هذا يمكن العدو من استعادة قوته والتقاط أنفاسه. وهذا من دأب الرسل عليهم السلام فلقد كانوا لا يفتأون يلجون بالدعوة كل محيط ويقتحمون بها كل ميدان، وهاهو سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن يدعو الناس إلى عبادة الله، وعلى ذلك فمهما كانت ظروف الدعاة ومحنهم فالواجب عليهم تخطي هذه الظروف وهذه المحن والاستمرار في تبليغ الدعوة حتى يفتح الله بها قلوب المدعوين.

من واجبات الداعية النهي عن المنكر وقول الزور:

يقول الله تعالى: ﴿... وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾﴾ [سورة المجادلة:٢] ، يخبر الله في هذه الآية أن المظاهر يدعي أن زوجته مثل

أمه وهذا منكر لأنه ليس من الحقيقة في شيء، وزورا لأنه كذب فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب[1].

والمنكر في اللغة: هو بخلاف المعروف[2].

والزور في اللغة: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتق من تزوير الكلام، ولكنه اشتق من تزوير الصدر، والزور الكذب والباطل والتهمة وقد تكرر ذكر شهادة الزور في الحديث وهي من الكبائر فمنها قوله: عدلت شهادة الزور الشرك بالله، وإنما عادلته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ [سورة الفرقان:٦٨]، ثم قال بعدها ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ...﴾ [سورة الفرقان:٧٢].

والمنكر في الشرع: هو كل ما أنكره الشرع ويشمل الحرام والمكروه وهذا يعني أنه يجب النهي عن المحرم ويندب النهي عن المكروه.

والهدف من وراء النهي عن المنكر هو رجاء ثواب الله تعالى والخوف من العقوبة على تركه والغضب لله أن تنتهك محارمه والنصيحة للمؤمنين والرحمة بهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة وإجلال تعظيم الله ومحبته.

والمنكرات معاول تهدم بناء المجتمع وتسلمه إلى دمار كيانه وتعرضه لخطر الخلل من القيم الإسلامية الأصيلة وتؤدي به إلى الفناء أو الضياع كما أن المنكرات تصرف الناس عن الخير وعن المثل العليا ومكارم الأخلاق، وهي إذا حلت في بعض الأفراد في المجتمع انتقلت وشاعت بحيث تفتك بالمجتمع كله.

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، جـ١٨، دار الرشيد بسوريا، ص ٣٣٥.
(٢) لسان العرب لابن منظور، جـ٦، دار المعارف، ص ٤٥٣٨.

obeikandl.com

وماذا تنتظر من مجتمع تنتهك فيه الأعراض أو تسلب فيه الأموال أو تضيع فيه الحقوق؟ ماذا تنتظر من مجتمع تنتشر فيه رذيلة الغش ومرض الرشوة وفساد الأمم؟ وهل يعقل أن يحيا هذا المجتمع وهو آمن على نفسه وماله وعرضه ودينه إذا كانت هذه الرذائل المشار إليها سابقا وغيرها تنتشر فيه كانتشار النار في الهشيم، لأجل هذا اعتنى الإسلام بمكافحة المنكرات للحفاظ على سلامة المجتمع وتوفير الأمن والأمان لكل أفراده.

وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة المائدة ٧٨: ٧٩]. ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو تقصرونه على الحق قصرا".

ولقد أصبح لزاما على كل مسلم تجاه هذه المنكرات التي فشت في المجتمع سواء كانت قولية أو فعلية أن يتجنبها وينهى عنها قدر استطاعته، فضلا عن الداعية الذي تحمل أمانه دعوة الناس على عاتقه أن يبين للناس هذه المنكرات وعاقبتها في الدنيا والآخرة، ويتمثل هذا البيان بالقول، والابتعاد بنفسه عنها حتى يكون قدوة حسنة لهم، وأن يتحرى الحقيقة في القول والابتعاد عن الكذب والبهتان.

دور الداعية في دعوة الحاكم لتحقيق واجبه نحو سماع شكوى الرعية:

إن حقوق الأمة واجبة وينبغي على الإمام القيام بها، وكذلك حقوق الإمام واجبة على الأمة فكل حق يقابله واجب لأنهما أي الحق والواجب وجهان لعملة واحدة يتخرج منها الكيان الإنساني بين الحاكم والمحكوم وحيث إن طاعة الإمام واجبة على العامة وجب مخاطبتهم بما يليق بهم وبما يناسب الوقت والحال.

وهذا انطلاقا من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة:١]. وهنا يدعو الله الحاكم إلى الاهتمام بالمحكومين، واهتمام الداعي بالمدعوين، وذلك بالاستماع إلى حوائجهم والإنصات إلى قضاياهم وشكواهم تنفيذا لهذا التوجيه القرآني العظيم. فمن حق الأمة أن ترفع صوتها بالشكوى مما ينزل بها من أمور قد تضيق بها أو لا تفهم مغزاها، وعلى الحاكم ألا يوصد أبوابه في وجه أحد وعليه ألا يتخذ الحجاب الذين يحولون دون سماع صوت ذوي الحاجات.

فها هو الخليفة العادل "عمر بن الخطاب" أمير المؤمنين تصل به العدالة إلى سماع شكوى الرعية حتى ولو كانوا غير مسلمين ضد الولاة وتنفيذ أحكام العدالة في الولاة إنصافا لحقوق الرعية، ومن أمثلة ذلك تحقيق سيدنا عمر مع عمرو بن العاص فيما فعله ابنه مع أحد المصريين إذ ضربه بالسوط على إثر سباق بين فرسيهما، وقال له "أنا ابن الأكرمين" واقتص له سيدنا عمر، وقال لعمرو كلمته المشهورة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

openkanz.com

وذات يوم كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه فمر به رجل، فقال له: ويلك لك يا عمر من النار، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا ضربته؟ وقال له رجل آخر: ألا سألته؟ فقال عمر: علي بالرجل، ثم قال له: لم قلت ما قلت؟ قال: تستعمل العامل، وتشترط عليه شروطا، ولا تنظر في شروطه. قال عمر: وما ذاك؟ قال: عاملك على مصر اشترطت عليه شروطا فترك ما أمرته به، وانتهك ما نهيته عنه. فبعث عمر برجلين، فقال: سلا عنه فإن كان كذب عليّ فأعلماني، وإن كان صدق فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتياني به. فسألا عنه، فوجداه قد صدق عليه، فاستأذن الرجلان ببابه، وأعلماه أنهما رسولا عمر إليه ليأتيه، فأتيا به عمر، فسلم عليه، فقال له عمر: من أنت ويلك؟ قال: عاملك على مصر، فقال له عمر: استعملتك وشرطت عليك شروطا فتركت ما أمرتك به، وانتهكت ما نهيتك عنه. أما والله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها – أي أشدد عليك وأوثر فيك بها.

ثم قال عمر: أيتوني بدراعة من كساء (أي جبة مشقوقة) وبعصا، وثلاثمائة شاه من شاء الصدقة، وقال له: البس هذه الدراعة وقد رأيت أباك، وهذه خير من دراعته، وهذه العصا خير من عصاه اذهب بهذه الشاء فارعها في مكان كذا وكذا – وذلك في يوم صائف – ولا تمنع السائل من ألبانها شيئا، والعم أنا آل عمر لم نصب من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا، فمضى الرجل، ولن أمعن في سيره رده وقال: أفهمت ما قلت لك، وردد عليه الكلام ثلاثا، فلما كان في الثالثة ضرب الرجل بنفسه الأرض بين يديه، وقال: ما أستطيع ذلك، فإن شئت فاضرب عنقي... قال عمر: فإن رددتك إلى عملك فأي رجل تكون؟ قال: لا ترى إلا ما تحب، فرده فكان خير عامل"[1].

---

(١) الشيخ محمد محمد المدني، نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤، ص١٨٠، ١٨١.

ومن الحق والواجب تنشأ المسئولية على الجميع حكاما ومحكومين ومما هو من حقوق العامة سماع الحاكم لشكواهم وما يعن لهم من أمور دينهم وشئون حياتهم فعندما يستعصى على العامة إدراك النص وجب على الإمام بيان ما غمض على العامة. ولأن التشريع في صدر الإسلام كان من الله ورسوله ويكون ذلك بالعدل من رسول الله، وبالأكثر عدالة من الله سبحانه وتعالى، ولقد قضى رسول الله بالعدل في الأمر من الشاكية في قوله: "ما أراك إلا قد حرمت عليه". وهنا لابد من الأكثر عدالة أن يعدل حكم العدل ليكون فيما يقضي به مصلحة الأمة في عمومها لذا كان سمع الله مع رسوله ﷺ ومع المرأة الشاكية حتى يثبت أمرا شرعيا منه سبحانه يعدل به عدالة رسول الله ﷺ بما يناسب عدالة ومصلحة الأمة.

وبما أن الداعية مكلف من قبل الله بتبليغ شرعه إلى خلقه وجب عليه أن يستمع إلى شكوى الشاكين وسؤال السائلين ليبين لهم ما غمض عليهم من أمر الدعوة وفهم القرآن والسنة وإلا فلا معنى للدعوى ولا قيمة للداعي حيث إنه يفقد ماهية رسالته التي أنيط بتوصيلها إلى العامة حيث إنه مستخلف للدعوة وحسب. وبما أن الداعي وكيل عن الحاكم في إبلاغ الدعوة فقد وجبت عليه بلاغا إلى الناس، ويكون دور الداعية مقصورا على دعوته حيث إن النظام الحديث في مجال السياسة والحكم قد قام بتوزيع التكليفات حتى يخفف من الأعباء فإن الداعية مكلف إذا وجد من المدعوين ما يخالفون به نصوص الشرع أن يبلغ من له حق الضبطية وحفظ الأمن العام وذلك درءاً للفتن وإبعادا للأمة عن الشتات والفرقة.

وسائل الدعـوة :

معنى الوسيلة:

"الوسيلة في اللغة ما يتوصل به إلى الشيء[١]، وفي مفهوم الدعوة والمشتغلين بها من الدعاة هي ما يتوصل بها إلى هداية الناس ودعوتهم إلى الخير ولذلك عرفها بعض المشتغلين بالدعوة فقال: "الوسائل عمليات الاتصال الفردي والجماعي التي تتم بين الداعية ومجتمعه من أجل تبليغ الإسلام ونشره، وذلك بناء على ما تم بين النبي وأصحابه أو بينهم وبين غيرهم من البشر من أجل تبليغ الدعوة وعليه فالوسيلة في مفهوم الدعوة: هي ما يتوصل به في نقل الدعوة من الداعي إلى المدعو للوصول إلى الهدف الأعلى وهو تبليغ الدعوة"[٢].

وتتمثل وسائل الدعوة في:

أولاً وثانياً: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثاً: الخطابة: من أهم الوسائل لنشر الدعوة في كل عصر وزمان: الخطبة وتخص بها: الخطابة الدينية التي ارتفع بها الإسلام حتى جعلها شعيرة من شعائره وهذا ما يحدث في يوم الجمعة وفي العيدين وفي وقفة عرفات، ولقد كانت الخطابة أول وسيلة اتخذها الرسول عليه الصلاة والسلام لنشر الدعوة بعد أن أمره الله بالجهر بها في قوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٩٤] .

---

(١) لسان العرب، مادة "وسل".
(٢) الشتيوي، الدعوى الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ص ٨٥، ٨٦.

واهتم الإسلام بالخطابة واعتبرها وسيلة من أهم وسائل الدعوة حتى أصبحت مظهر الحياة المتحركة فيه فهي التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ومع المكان من قطر إلى قطر ولو عرف الدعاة قدر الخطابة ومدى تأثيرها على النفوس ما لجأوا إلى هذه الخطابة الميتة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

والخطابة الإسلامية حقا هي التي تأخذ من القرآن وتسير معه، وكان رسول الله ﷺ أحيانا يخطب بسورة ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [سورة ق:١]، وكان عمر أحيانا يخطب بسورة النحل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ...﴾ [سورة النحل:١] ، ويقول الشيخ الكبير محمد الغزالي للنهوض بأمر الخطابة: "وإذا أردنا أن ننهض بالخطابة التي تصلح من شأن الفرد والمجتمع فينبغي أن نختار الخطيب الخبير بالحياة وعللها المكين في الوحي الأعلى يأخذ منه بلباقة ما يشفى علل الناس ويصلح بالهم وما يتألف به نافرهم ويسكن ثائرهم، وما يدحض به نزعات الإلحاد ويحبط كيد الشيطان، وما ترق به القلوب القاسية وتنفرج به الأسارير المنقبضة وما يشعر الناس بعد الانصراف عنه أنهم فقراء إلى الله، محتاجون إليه، وموضوع الخطبة هي الحياة الدنيا والآخرة، وإذا تطرق الخطيب لموضوعات دنيوية فلا يخلي خطبته من معاني القرآن والسنة وهدي السلف الصالح". وقد كان المسجد ولا يزال من أهم الوسائل في نشر الدعوة إلى الله قبل اختراع أجهزة الإعلام في العصر الحديث ولئن كان هذا دور المسجد في صدر الإسلام فإن دوره في العصر الحديث لا يقل أهمية عن دوره في الماضي.

رابعا: الترغيب والترهيب:

ولأن الترغيب هو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله فعلى الداعية أن يسلك هذا الطريق مع المدعوين في تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى حتى يفوزوا بالسعادة في الدنيا والنعيم بالآخرة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ... ﴾ [سورة النساء:٥٨]، وما جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة نوح ١٠: ١١]، والمثال الحي على النعيم في الآخرة ما جاء على لسان "جعفر الطيار" وهو يخوض غمرات الموت والشهادة... يا حبذا الجنة واقترابها... طيبة وبارد شرابها.

والترهيب هو التحذير والتخويف للمدعوين من مخالفة أمر الله وارتكاب الذنوب والآثام والتجبر خشية وقوعهم تحت طائلة عقاب الله في الدنيا وعذابه بإدخالهم النار في الآخرة. ويأتي هذا عن طريق الحث على فعل الخير واجتناب الشر. والقرآن الكريم يورد لنا الكثير من الآيات الدالة على هذا الترهيب وعقاب الله في الدنيا والآخرة. فيقول تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة النساء:٩]، ويقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ... ﴾ [سورة سبا ١٥: ١٦]، وقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا

﴿ ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة النحل:١١٢]، ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة هود:٣٢]، ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الزمل:١٧]

وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[1].

خامسا: التبليغ:

إن التبليغ بكافة جوانبه يعد وسيلة ذات أثر عظيم في الدعوة إلى عباد الله تعالى. وقد سلكها رسل الله جميعا في تبليغ رسالاتهم. ويوضح لنا القرآن الكريم هذه المعاني فهو قول رب العالمين نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ ليكون به التبليغ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ... ﴾ [سورة التوبة ٦]، ويقول تعالى مخاطبا رسوله وآمرا له أن يقول للناس: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يونس:١٠٨]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]. وكذلك أمر الله رسله أجمعين بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... ﴾ [سورة المؤمنون:٢٣] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٠٤]، فلا

(١) البخاري، جـ٣، ص ٣٣٢.

يجوز للداعي أن يغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة ولا أثر الكلمة الطيبة في النفوس. فالتبليغ بكافة وسائله وسيلة أصيلة في إيصال الحق للناس. ويجب أن يكون هذا التبليغ واضحا لدى المستمع كما هو واضح لدى المتكلم لهذا أرسل الله رسله بلسان مبين فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... ﴾ [سورة إبراهيم:٤]، وقال: ﴿... فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [سورة النحل:٣٥]، وفي الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا أي بينا ظاهرا يفهمه كل من يسمعه".

ويجب على الداعي أن يتأنى في كلامه ولا يسرع حتى يستوعب السامع لقوله جاء في الحديث الذي رواه البخاري: "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه"(١). وعلى الداعي أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في لفظه جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: "هلك المتنطعون قالها ثلاثا"(٢)، والتنطع في الكلام التفاصح فيه والتعمق فيه. وفي حديث آخر: "إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"(٣).

وعلى الداعي أن يراعي حالة دعوته أن يكون متخلقا بخلق التواضع مبتعدا عن أسلوب الاستعلاء، وعليه أيضا يتلطف بالقول فيستعمل في كلامه وخطابه ما يثير رغبة المدعو إلى السماع ويقمع فيه نوازع الجهل والنفور، فيقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ... ﴾ [سورة مريم:٤٢]، فذكر إبراهيم عليه السلام في خطابه

---

(١) البخاري، في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث، جـ١، ١٨٨.
(٢) مسلم، جـ١٦، ص ٢٢٠.
(٣) مسلم، جـ١٦، ص ٢١٩.

لأبيه رابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الإبن حريصا على مصلحة الأب وتجعل الأب جديرا بأن يصغى إلى خطاب ابنه. وفي السنة ذكر ابن هشام في سيرته: "أن النبي ﷺ أتى إلى بطن من بطون كلب في منازلهم يقال لهم "بنو عبد الله" فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه كان يقول لهم: يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم، أي فأحسنوا الإجابة واقبلوا الدعوة وآمنوا بالله ورسوله".

أساليب الدعوة :

ويجدر بنا توضيح الأسلوب أو المنهج الأمثل في الدعوة إلى الله تعالى وهو كما أوضحته الآية الكريمة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ [سورة النحل:١٢٥] .

أولا: الدعوة إلى الله بالحكمة:

إن الحكمة في إطلاق اللغويين تطلق على العدل، والحلم، والنبوة، وما يمنع من الجهل وما يمنع من الفساد بوضع الشيء في موضعه وكل كلام موافق للحق، وصواب الأمر وسداده ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والقرآن والإنجيل، على أن الحكمة تطلق على ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، والحكمة مأخوذه من الحكمة – بفتح الكاف والميم – وهو ما يوضع للدابة كي يذللها راكبها فيمنع جماحها، ومنها اشتقت الحكمة قالوا: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل، والحكمة في حقيقتها وضع الأشياء في مواضعها". قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ... ﴾ [سورة آل عمران:٨١].

والحكمة من العطايا التي يمنحها الله عز وجل لرسله وأصفيائه، قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة ص:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة لقمان:١٢]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة النساء:٥٤]، وهذا ما ينبغي أن يسلكه الداعية بعد تقوى الله سبحانه حتى تثمر دعوته لأن رسول الله ﷺ سلك هذا المنهج من قبل كما أمره الله سبحانه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥].

والمراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء بها الشرع وهي تدل على علم دقيق محكم وتعليمها كمال علمي والقضاء بها كمال عملي، والمقصود من الحكمة في الدعوة هي ملاحظة الداعي للواقع الخارجي للمجتمع الذي يعيش فيه ودراسة ظروفه العقلية والنفسية والاجتماعية ووضع كل ذلك في حسابه قبل بداية العمل فالداعية إلى الله رجل حكيم يضع لكل داء دواء ولكل مقام مقال لا يسوى بين العالم والجاهل، ولا بين الحاضر والبادي إنه صاحب القول السديد والتصرف الرشيد والكلمة الزاجرة والعظة النافعة.

وكذلك مراعاة مقام المدعو واختيار الأسلوب المناسب له كما مع الأبوين والحكام ولغير المسلم أسلوب غير أسلوب المؤمن وللعنيد المجادل أسلوب يناسبه كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [سورة العنكبوت:٤٦]. جاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب الترخيص في الزنا وصاح الناس به فهداهم رسول الله ﷺ ثم دعاه فدنا منه وأخذ يحاوره ليصلح من فكره المنحرف حتى أقر الرجل أنه لا يرضاه لأمه ولا لبنته ولا لإحدى قريباته، فقال رسول الله ﷺ:

وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم وبناتهم، فانصرف من عنده وقلبه راض وعقله مقتنع".

ومن الحكمة في الدعوة أيضا التنازل عن موقف المعتقد بأحقية دعوته وبطلان دعوى الطرف الآخر إلى موقف الذي يبحث عن الحق وينشده والذي لا يستطيع أن يؤكد هل هو على هدى أو غيره ليصل النقاش إلى مداه والحديث إلى نهايته ولإثارة الشك في أعماق الخصم وتمزيق الهالة التي تحيط بمعتقداته وجعلها شيئا قابلا للانتقاد والرد وبذلك يتهيأ نفسيا للدخول في الدعوة والاستماع إليها بهدوء والتنازل عن طبيعة العناد والتعصب وفتح منافذ المعرفة الحقة الواعية وتقبل التعاليم بروح حيادية.

وهاهو نموذج من دعوة الرسول ﷺ وأسلوبه الحكيم الذي واجه به عتبه ابن ربيعة "لما عرض على رسول الله ما أرادت قريش فما ناقشه رسول الله ﷺ ولا جادله فيها ولكنه قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: أسمع مني" وتلا عليه جزءا من سورة فصلت، فلما سمعها عتبه أنصت لها حتى انتهى رسول اله ﷺ وقام عتبة وقد تغيرت معالم وجدانه وتقاسيم وجهه وقال فيه قومه لما رأوه من بعيد، "نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به".

ثانيا: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة:

الموعظة الحسنة طريقة في التبليغ وأسلوب في الدعوة يحببهم إلى الناس ويقربهم منها وييسرها ويشعر المخاطب أن دور الداعية معه دور الناصح له الرفيق به الباحث عما ينفعه ويدخله إلى قلبه برفق ويعمق مشاعره بلطف وهو يزين له الخير ويرغبه في فعله، وهذا ما سلكه أنبياء الله عليهم السلام في دعواتهم إلى

أقوامهم، لقد قص الله سبحانه وتعالى علينا مسلك سيدنا موسى وهارون حينما أرسلهما الله إلى فرعون فحصنهما الله بهذا المنهج: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه:٤٤]،ويسلك شعيب عليه السلام مع قومه سبيل الموعظة الحسنة ويستثير عوامل الخير فيهم فيقول لهم:﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ...﴾ [سورة هود:٨٦]، ويقول تعالى: ﴿...إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة هود:٨٤]، والموعظة الحسنة تخاطب في الإنسان القلب.

والموعظة كما جاء في لسان العرب، جاءت من: وعظ وعظا وعظة وموعظة أي ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ وقيل هي: النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب، والمقصود من الموعظة غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير.

وهناك صورا من مواعظ القرآن الكريم منها:

أولا: المواعظ التعليمية:﴿...ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣٢].

ثانياً: المواعظ التأديبية: ﴿...وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ...﴾ [سورة النساء:٣٤].

ثالثاً: المواعظ التي جاءت على هيئة وصايا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان:١٣].

ومن مواعظ النبي ﷺ، ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"، وكانت أول موعظة للنبي بالمدينة

المنورة قال ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد..." أيها الناس فقدموا لأنفسكم: تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنها تجزي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

ثالثا: الدعوة إلى الله بالمجادلة بالتي هي أحسن:

والجدل في اللغة: يقال جدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما فالجدل شدة الفتل والأصل منه "جدل" والجدل والجدْل "الذكر الشديد وقصب اليدين والساقين، وكل عضو وعظم لا يكسر والجدل بالتحريك اللدد في الخصومة والقدرة عليها، والمجادلة... المناظرة والمخاصمة ومنه سورة المجادلة. قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾ [سورة المجادلة:١]، والجدل في الاصطلاح يعني: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بقصد تصحيح كلامه قال: وهو الخصومة في الحقيقة، غير أن الذي نعنيه هنا هو الجدال والمحاجة والحوار بما لا يرقى إلى الخصومة... إلا إذا اعتبرنا الجدال مع الظالمين خصومة... لأنه قد تجرد منه نعمت الحسن، وإذا احتاج رجل الدعوة إلى الجدال فليكن بالتي هي أحسن.

والجدل نوعان: جدل ممدوح، وجدل مذموم، فالجدل المذموم ما كان بمعنى العناد في الخصومة لا لطلب الحق بل مجادلة بالباطل وقد ذم الله هذا النوع خاصة

opeikandi.com

ما كان بين الأقوام لرسلهم قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ [سورة غافر:٤]، وقال تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ ...﴾ [سورة الأنفال:٦]

أما الجدل الممدوح فيراد به المناقشة لإظهار الحق وهذا المعنى من أسمى الفضائل الإنسانية، وقد مدح الله هذا النوع وأمر رسوله ﷺ به قال تعالى: ﴿... وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وقال: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن". والمجادلة بالتي هي أحسن اقتضت من الدعاة إلى الله عز وجل التزام الدقة في العرض والصواب في الرأي ويقظة العقل والضمير حتى لا يضن الدعاة بالبيان عن طلب الحقيقة وهي تقتضي كذلك ألا يقصد الدعاة الإفحام وإنما الإقناع والإيضاح لأن ذلك أقرب لاستجابة المدعوين وأدنى لهدايتهم إلى الطريق الذي به تصلح أمور الناس وتستقيم.

كما اقتضت المجادلة بالتي هي أحسن من الدعاة البحث عن نقاط الوفاق والالتقاء بينهم وبين من يدعونهم للالتقاء عليها والوقوف عندها والانطلاق منها إلى بقية التفاصيل تجنبا للتركيز على مواطن الخلاف والنزاع في بدء الطريق. والمجادلة بالتي هي أحسن هي الطريقة التي يواجه بها الداعية رد فعل الدعوة لدى المخاطبين نتيجة اختلاف أفكارهم عما جاءتهم به من عقيدة وسلوك وغير ذلك، وهي الطريقة العملية للوصول إلى تحرير العقول من الرواسب التي ورثت عن الآباء والأجداد لأنها لا تجرح الكرامة ولا تشعر المخاطب بأنه مغلوب، وتصور الداعية إلى الله بالناصح الأمين والمدعو يقابل النصح والتوجيه ليواصلا معا السير على الطريق الصحيح، والداعية لا يتخلى عن مسلك الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهو في ذلك ملتزم بما وجهه غليه القرآن من الجدل والحوار وتبادل الآراء ولا يتجاوز في ذلك كله الدائرة التي تحدد موضوع الدعوة إلى الحق، وهذا المنهج من المجادلة يكون

حتى مع أولئك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والإصرار عليه، وإن كان مثلهم لا يجادل ولا يتبادل معه الرأي في شأن الحق الذي جحدوه قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [سورة العنكبوت:٤٦]، وقد أخبر القرآن الكريم أن الرسل عليهم السلام قد جادلوا بالحسنى قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود:٣٢].

والداعية إلى الله محتاج إلى السلام الفكري والموضوعية في مجادلته بالتي هي أحسن وليس من مصلحته دعوته مواجهة التحدي بالعواطف الفارغة والخطب الرنانة الخالية من المحتوى والمضمون الفكري العميق، ومنهج الرسل فيه مقارعة الحجة بالحجة ومقابلة الفكرة بالفكرة.

ويقص علينا القرآن الكريم الكثير من نماذج المجادلة بالتي هي أحسن منها: جدل سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه الذي صورته تلك الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [سورة مريم:٤١]، وكذلك جدال الكفار للرسول ﷺ فقد جادله الكفار والمعاندون في أمور كثيرة فقد جادلوه في أمر البعث والحياة الآخرة وما فيها من حساب وجنه ونار، وسأله "أبي بن خلف" عن قدرة الله في إحياء العظام بعد بلاءها، فرد عليه السلام قائلا له: نعم ويبعثك ويدخلك النار" ونزل قول الله في ذلك: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ ...﴾ [سورة يس:٧٨]، ومحاجة القرآن للنصارى وخاصة في أمر المباهلة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل:٤٠].